

## الفصل الثالث

### عصر التنوير والتحرير

#### ١ - نحو عهد جديد :

ظن العلماء الى وقت قريب أن عدم الاتصال بين اليهود والمسيحيين. بقى مقطوعا طوال القرون الوسطى الى أن جاء العصر الحديث . الا أن البحث العلمى الحديث فى كثير من مصنفات ذلك العهد تعطى غير هذا الانطباع .

أدت الحروب الصليبية حال انتهائها الى انتعاش فى الحياة الأوروبية على جميع المستويات . اذ انتشرت التجارة بين الشرق والغرب . وأخذ الغرب ينهل من مرافق الحضارة العربية . وعلى الاثر ، كبرت المدن وتضخمت ونشطت الحركة فيها مما أدى الى نشوء حضارة مدنية ، لا قروية زراعية ، تعتمد على حركة التجارة ورجالها لا على الكنيسة وأنظمتها . وشدت الحضارة الجديدة الشعوب اليها وكادت تغير مجتمعاتها من النظام الأسرى الى نظام شخصى تعاملى ينطوى على اعتبار المواطن بما عمل لنفسه أو عليها ، لا بالأسرة أو الملة التى ولد فيها . ودبت هذه الحياة الجديدة فى مدن ايطاليا ، فكان عصر النهضة (Renoissanco) ثم تعدتها الى مدن أوروبا الأخرى .

وعليه ، زاد الاتصال بين اليهود والمسيحيين لا فى مضمار التجارة فحسب بل على الصعيد الاجتماعى . فكثيرا ما كان لرجال عصر النهضة زملاء يهود . حتى القصر البابوى لم يخل من الزوار اليهود ، لا سيما أثناء بابوية كليمنت السابع ( ١٥٢٣ - ١٥٣٤ ) ، أحد أعضاء أسرة دو مدينشى المشهورة ، الذى استضاف اثنين من مدعى النبوة

اليهود ( سليمان مولكو وداوود روبيني ) حماهم ضد الاضطهاد القضائى.  
(Lnquisition) ( ١ ) .

وفى البندقية ، حسب شهادة رسائل الحاخام ليون دامودينا ، كان يلتقى عدد من الحاخامين ورجال الكنيسة لتبادل وجهات النظر فى الامور الدينية واللاهوتية فى جو من الصداقة وحسن النية المتبادلة ( ٢ ) ، وتحت هذه الظروف أيضا ، تعرف اليهود على موسيقى المسيحيين . فكلف اليهودى سليمان دوروسى ، وكان عازف كمان فى بلاط أمير مانتوا ، بتأليف عدد من القطع الموسيقية متجانسة تمام التجانس مع موسيقى المحيط النهضوى الايطالى . بل ان الحاخام ابراهام يوسف جرازيانى قرر لأول مرة فى تاريخ اليهود استعمال الأرغن فى كنيسة بالرغم من القانون التلمودى الذى يعتبر ادخال الآلات الموسيقية بجميع أنواعها على الكنيس اثما وكفرا ( ٣ ) .

وكان أكبر مدى للحرية الشخصية ما تمتع به سكان هولندا اليهود ، فالمحظورات على اليهود كانت جد قليلة ، ومن هولندا ، التى آوت أعدادا كبيرة من اليهود النازحين من انجلترا وفرنسا ، عاد اليهود الى الهجرة الى انجلترا واستعمارها بعد أن أطاح أوليفر كرومويل بالقوانين الاضطهادية المتحكمة بيهود انجلترا منذ أن جاءوها لأول مرة . وفى الواقع لم تتح قوانين انجلترا لليهود التجنس بالجنسية الانجليزية الا بعد نقض قانون الجنسية لسنة ١٧٥٣ . ومن هولندا أيضا جاء أول مهاجرين الى أمريكا سنة ١٦٥٤ ونزلوا فى المستعمرة الهولندية التى

---

( ١ ) Cecil Roth, The Jews in The Renaissance Philadelphia : Jewish Publication Society 1959, p. 23.

( ٢ ) Ellis Rivkin, Leon da Modena and the Kol Sakhal. Cincinnati : Hebrew Union College Press, 1952, p. 25.

( ٣ ) Grove's Dictionary of Music and Musicians. London : Macmillan & Co., 1954, VII, p. 243.

Abraham Z. Idelsohn. Jewish Music in its Historical Development, New York : Henry Holt, 1929, pp. 196-203.

كانت تسمى نيو امستردام وهى مدينة نيويورك . فهؤلاء اليهود النازحين الى أمريكا لم يكونوا جاءوا من بلاد أقرب ما تكون الى التحرر فحسب ، بل نزلوا فى بلاد لا تعرف الجيتو ولا تشعر بأية قيود تجاه الخبرة الأوروبية فى هذا الصدد ، فكان هؤلاء اليهود أول يهود عصريين

\*\*\*

## ٢ - حركة التنوير فى أوروبا :

فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وصل نمو قوى عقلية واجتماعية وسياسية كانت قد ولدت خلال عصر النهضة درجة التفجر . فكان عصر التنوير والحركة المسماة باسمه . تقوم حركة التنوير على مبادئ خمسة ، وهى سهلة التناول والفهم ، ألا وهى :

(١) يتألف الكون من عناصر وقوى مرتبطة ببعضها بشكل معقول أى تتحكم فى علاقاتها قوانين تؤلف فى كليتها سنة عقلانية لا تبدل لها . فكل ما فى الكون يخضع لها .

(٢) عقل الانسان يؤهله لاكتشاف قوانين الكون وبالتالي لمعرفة أسراره .

(٣) عقل الانسان وما يقوم عليه من مبادئ عامة كاف لتفهم معانى الكون .

(٤) لا حاجة اذن للعقل الانسانى بان يرجع الى الوحي أو المعرفة الماورائية ، لادارة حياته ومئون الدنيا .

(٥) وان اعترف بان ما كل تعقل يصيب قوانين الكون وأساراه فانه يكفى أن عقل الانسان قابل اذا ما هذب ، أن ينفذ اليها . فالانسان جدير بتصحيح أخطائه .

قال مونتيسكيو : « عالم الانسان أقل انصياعا للقوانين من عوالم الحيوان والنبات والجماد ، وبالرغم من أن لهذا العالم قوانينه الخاصة به ، وهى قوانين غير قابلة للتبديل فى حد ذاتها ، لا يمثل الانسان لهذه القوانين دائما وبدا . يرجع هذا الى أن الانسان كمخلوق وذى طبيعة محدودة ، معرض للخطأ . وهذا بالرغم من أن الانسان تلزمه

طبيعته للحياة ككائن حر . ولهذا ، نجد الانسان لا يمثل دائما لقوانين  
عالمه ، بل حتى ولا للقوانين التي يسنها هو لينظم سلوكه فى  
العالم « (٤) .

ويقول كانت : « التنوير هو الافراج عن الانسان من الوصايات  
التي فرضها هو على نفسه . والوصاية هى عدم جرأة الانسان على  
استعمال قواه الطبيعية بدون استئذان الغير ، ولم تكن هذه الوصاية  
مفروضة على الانسان من قبل أحد ، ذلك أنها لا تعتمد على نقص فى  
العقل بل فى الجرأة على استخدامه . . . أما الوصاية الدينية ،  
فهى أرزل الوصايات وأشدّها ضرراً » (٥) .

وسرت هذه العقيدة فى الفكر الأوروبى سريان اللهب فى القش ،  
فاعتبر من آمن بها كل انسان آخر متساويا معه فى العقلانية . فبما  
أن الانسان انسان . وله عقل ، فهو جدير باستخدامه . وإذا استخدمه ،  
وفعل ذلك بأمانة وأصالة ومسئولية ، توصل الى نفس ما يتوصل اليه  
كل انسان آخر . اذن ، فلا فرق بين البشر ، وكل ما اصطنع من تفرقة  
بينهم يجب أن يزول سريعا . وسرعان ما طبق هذا الحكم على جميع  
مرافق الحياة . وسارع العقلانيون المتحررون من نير الكنيسة وتداليمها  
الى تطبيق الجبدأ المذكور فى موضوع الدين . فهم اعتبروا الفرق بين  
الدينين المسيحى واليهودى غير ذى بال فى الحياة المدنية . وقالوا : إذا  
كانت القرارات السياسية يجب أن يتخذها المواطنون باستخدام عقولهم  
وبتعلهم للأمور ، فما يهم أن يدين المواطنون بأديان مختلفة ؟ وإذا كانت

---

Montesquieu, The Spirit of The Laws, tr. Thomas (٤)  
Nugent, New York : Colonial Press, 1900, Bk I, Section 1,  
p. 2.

Immanuel Kant, Foundations of The Motaphysics (٥)  
of Monals and What is Enlightenment ? tr. Lewis White Beck.  
Chicago : University of Chicago Press, 1950, pp. 286-291.

القرارات الاقتصادية يجب أن يتخذها المواطن حسب ما تمليه مصلحته الشخصية ، وذلك باستخدامه عقله وبتعقله للأمور الاقتصادية ، فما يهم أن يدين المواطنون بأديان مختلفة ؟ وأخيرا ، إذا كان الاختلاط الاجتماعي بين الناس يقوم على تمتعهم بموهبة العقل ويستهدف تهذيب هذه الموهبة واعلامها وتغيير ادراكها وتفهمها للأمور ، فما يهم أن يتكلم ويتحدث ويتجادل ذوو الأديان المختلفة مع بعضهم بعضا ؟ وهكذا ، تداخل اليهود في المجتمع المسيحي بعد أن انقطعوا عنه طوال القرون (٦) .

أما في أمريكا ، فالامر لم يحتج الى مثل هذه الحجج . يقول بارون ربلو ، مؤرخا اليهود في أمريكا ، بأنه نظرا الى أن وثيقة الاستقلال الأمريكي ، وتصريح جيفرسون حول تأسيس الحرية الدينية في ولاية فرجينيا ، ودستور الولايات المتحدة ، وقانون حقوق الانسان . . . وهى قواعد الكيان الأمريكى السياسى كله ، تعبر عن وجهة نظر التنوير فى جميع مرافق الحياة ، فان اليهود لم يكونوا يحتاجون الى تحرير فى أمريكا . فهم دخلوها أحرارا واستطاعوا الانخراط فى جميع أسلاكها الادارية والديبلوماسية والعسكرية . وجد اليهود بين موظفى الرئيس واشنطن ، وبين أول فوج طلبة دخل كلية أمريكا العسكرية . عندما أقيم المهرجان الخاص بإبرام الدستور فى فيلادلفيا سنة ١٧٨٩ ، وضعت مائدة خاصة للطعمة والمرطبات المحضرة على الطريقة اليهودية . أو الكوشير (٧) .

Salo W. Baron, A Social and Religious. History (٦)  
of the Jews : New York : Columbia University Press, 1937,  
p. 142.

Louis Finkelstein, ed., The Jews, Their History Culture  
and Religion Philadelphia : Jewish Publication Society, 1949.  
I, pp. 261, 264-266.

Joseph L. Blau and Salo W. Baron, The Jews (٧)  
of The United States, 1790 – 1840 : A Documentary History.  
New York : Columbia University Press, 1964. I, pp. 50, 248-249.

ومع هذا فان دخول اليهود فى الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية الأوروبية جاء متقطعا وبطيئا الى أن قامت الثورة الفرنسية وتبعها من تبعها من حملات وفتوحات لنابليون . عندئذ انهدم الجدار الفاصل تماما وراح اليهود يركزون أنفسهم فى شتى المجالات يؤثرون فيها ويتأثرون بها .

\*\*\*

### ٣ - الرد اليهودى الأول ( موسى مندلسون ) :

كان موسى مندلسون ( ١٧٢٩ - ١٧٨٦ ) أعظم من تأثروا بأيديولوجية عصره ، أى بالتفتح والعقلانية ، وكان صديقا لاثنين من كبار رجالات العصر ، وهما جوتهودل ليسنج وعمانويل كانت ( ٨ ) . ولد فى الجيتو فى مدينة دساو فى ألمانيا ونشأ طالبا مجتهدا شديد الفطنة والذكاء . درس التلمود على يد الحاخام داوود فرنكل وأتمه فى الرابعة عشر من عمره . ثم ذهب الى برلين ودرس فى معاهدها باللغات الأوروبية ، ومهد ليسنج لصديقه مندلسون الدخول فى الصالونات الأدبية . وما أن جاءت سنة ١٧٦٣ الا وكانت له سمعة أدبية كبيرة نال ازاءها جائزة أكاديمية العلوم البروسية متفوقا حتى على الفيلسوف كانت أحد المتسابقين معه . وأنعمت عليه الحكومة البروسية بلقب (Schutzjude) أى يهودى ذى حماية خاصة . وكان أيضا شديد التمسك بتراثه اليهودى والحرص عليه . وأول ما تطرق لذهنه أنه طالما أنه هو استطاع أن يحيا التراثين ويعرفهما حق المعرفة ، فلم لا يقدم اليهود على درس مواضيع هذا العصر والتقدم بأنفسهم ودينهم الى الامام ؟ فالى هذا الهدف كرس مندلسون جهوده . وكان أول ما قام به ترجمة التلمود للألمانية ، كى يتسنى لليهود الذين تعلموا الألمانية فأحبوها ولم يتعلموا العبرية التعرف على تراثهم وقانون حياتهم من جهة ، وللألمان التعرف

(٨) انظر تفاصيل حياة مندلسون فى كتاب :

Hermann Walter Moses Mendelssohn, Critic and Philosopher, New York : Bloch, 1930.

ثم فى أية دائرة معارف يهودية تحت اسمه .

على الدين اليهودى واحترامه . ويبدو أن مندلسون وعى دوره فى التاريخ كدور الوسيط بين ثقافتين : الألمانية الحديثة واليهودية التلمودية .

وأسس مندلسون مجلة هاميعاسف ( المجمع ) لنقل الثقافة الألمانية الى اليهود باللغة العبرية مستهدفا تثقيف المحافظين والمسنين من شعبه الذين لم يتعلموا الألمانية . وكذلك أسس « المدرسة اليهودية الحرة » سنة ١٨٧١ فى برلين للقيام بنفس الهدف ، وإقام التدريس فيها فى مواضيع عصرية وتلمودية . وكان دائما يرى نفسه كسفير غير رسمى من اليهود الى الامة الألمانية .

أما تأثر مندلسون بالفكر الغربى الحديث فكان عميقا بعيد المدى ، بل أنه سابق لذلك الفكر فى أمر علاقة الدين بالدولة . ففى كتابه المعنون « أورشليم » والمنشور سنة ١٧٨٣ ، قدم رأيه فى هذه القضية مدعما بحجج قوية مبنية على منطق نفعى . فهو يقول انه اذا أريد للمواطن من موظف أو سياسى أو تاجر أو زارع أو عامل أو جندى ، أن يحسن القيام بالواجب القومى المنوط به ، يجب عليه أن لا ينظر فى أمر الدين ، بل أن ينحيه عن المجالات العملية . واذا أريد أن يتمتع المواطن بحرية الفكر يعمل بها خلافا فعلا ومفجرا لطاقاته ، ويجب أن ينحى الدين عن المجالات النظرية أيضا . وفى النصف الثانى من كتابه « أورشليم » ، تصور مندلسون الدين اليهودى كشرية فقط ، لا كعقيدة وحيية . فالمبادئ والقصص التاريخية فى التوراة ليست فى رأيه من العقيدة اليهودية . فقط الشريعة ، أى القانون الخاص باليهود جدير بالايمان . والشريعة لا تقول لليهودى ما يجب أن يؤمن به بل ما يجب عليه فعله (٩) ، وبديهي أن مندلسون أراد بهذا الموقف أن يحرر المفكر

---

(٩) يقول مندلسون : « أنا لا أؤمن بأية مبادئ سوى التى يتفهمها العقل الانسانى والتى يمكن تبيانها وبرهنتها للفكر الانسانى . لقد أخطأ من ظن أنى بقولى هذا خرجت على دين الأجداد . يترتب مثل هذا الظن على ادراك خاطئ للدين اليهودى ، بل الأمر على عكس ذلك فهذا أمر لازم للدين اليهودى وهو يختلف بذلك تمام الاختلاف عن الدين المسيحى . »

من قيوده الدينية وأن يبقى السلوك مقيدا بهذه القيود . فالفكر يجب أن يعمل بنفسه ويتقبل ما يشاء دون اكراه . لذلك ، لا عقيدة بالمعنى المسيحى ولا معجزات . أما السلوك فلا بد له من التقيد بشريعة اليهود كما تلقاها موسى وبلورها الحاخاميين فى التلمود ، الا أن مندلسون آمن بالبعث لكن على أساس عقلى شبيه بتفكير عمانوئيل كانت فى هذا المضمار .

\* \* \*

#### ٤ - تحرير اليهود :

كانت بداية التحرير العملى فى الميادين السياسية والمدنية ما أبرمه جوزيف الثانى ، امبراطور النمسا ، من قوانين واتخذته من اجراءات تجاه يهود بلاده . اذ نقض الضرائب الخاصة المفروضة على اليهود ، وأعفاهم من لبس العلامة الصفراء المميزة ، وأعلن أن على اليهود التجاوب مع هذه الاجراءات الجديدة . فاذا هم انصهروا فى جسم الأمة النمساوية ، أكمل الامبراطور تحريرهم ورفع عنهم كل نير . وطلب الامبراطور الى اليهود أن يتخذوا أسماء عائلية وأن يكفوا عن تسمية أنفسهم بأسماء آبائهم . الا أن اليهود لم يستجيبوا لهذه الاجراءات . فاستغلوها لصالحهم وتدخلوا فى حياة البلاد الثقافية والاقتصادية والسياسية وتمركزوا فيها بدون أن يغيروا أسماءهم ودون

= وباختصار يمكننا القول بأن الدين اليهودى لا يعترف باية عقيدة من وحى السماء بالمعنى المفهوم عند المسيحيين . فليهود شريعة الهية ، قوانين وأوامر ، وسنن ومبادئ أخلاق وسلوك ترمى الى تحقيق السعادة فى الدنيا والآخرة . وهذه كلها أوحيت اليهم من قبل موسى بطريقة عجيبة ، ما وراثية . ولكنها ليست عقائد ، ولا حقائق ترمى الى الخلاص ولا مبادئ عامة قابلة للبرهان العقلى ، فالحقائق والمبادئ العامة لم يوحى بها لنا فحسب بل لجميع البشر ، وهى من النوع المستمد من الله ، والطبيعة والتاريخ ، وليس بالكلمة أو الكتاب « . كما جاء فى كتاب :

Moses Mendelsohn «Jerusalem», Part II Gesammelte Schriften. Leipzig, 1843, III, p. 319.

ان يعتبروا أنفسهم مواطنين نمساويين بكل معنى الكلمة . بل بقوا يترفعون عن المسيحيين ، يدخلون بيوتهم ومدارسهم وتجاراتهم ولا يبيحون لهم دخول بيوت اليهود ومدارسهم وتجاراتهم فأخذت الحكومة تطلق عليهم أسماء جديدة دون اعتبار لرغباتهم ولا تعترف لهم بغير هذه الأسماء . ومن هنا جاءت معظم أسماء اليهود الألمانية فى أوروبا وأمريكا (١٠) .

الا أن التحرير على نطاق واسع لم يتم الا بعد الثورة الفرنسية . وقد ابتداء فى فرنسا عندما قررت الجمعية الوطنية الفرنسية فى ٢٧ سبتمبر ١٧٩١ اعتبار اليهود المقيمين فى فرنسا مواطنين لهم كل حقوق المواطن وعليهم جميع واجباته ، اعتمد هذا القرار على وثيقة حقوق الانسان والمواطن التى تقبلها الشعب الفرنسى اثر الثورة ، والتى قالت :

أولا : ان الانسان خلق حرا ومتساويا مع الناس جميعا فى الحقوق . فالتمييز المدنى يجب أن لا يقوم الا على أساس الخدمة العامة التى يقدمها المواطن للوطن .

ثانيا : أن الهدف الأخير لجميع التجمعات السياسية هو المحافظة على حقوق الانسان الطبيعية كاملة ، ألا وهى الحرية والملكية الفردية والامن ومقاومة الظلم ...

ثالثا : لا يعترض رجل بسبب آرائه ، حتى ولا بسبب آرائه الدينية ومعتقداته ، بشرط أن لا يؤدى اعتناقه بها الى الاخلال بالامن ونظام القانون (١١) .

---

Cecil Poth, A Short History of 'The Jewish People' (١٠)  
London : East & West Library, 1948, p. 339.

(١١) انظر تفاصيل البحث فى كتاب :

Georges Lefebure, The Coming of The French Revolution,  
tr. R. R. Palmer. Princeton : Princeton University Press, 1947  
pp. 169-181, 221-223.

وجاءت اجراءات تحرير اليهود تترى بعد كل فتح من فتوحات الجيش الفرنسى . ففى سنة ١٧٩٦ ، بحث البرلمان الهولندى أمر تحرير اليهود تحت ضغط من السفير الفرنسى . وما أن جاءت السنة التالية حتى انتخب اليهود لعضوية البرلمان . وفى نفس العمام تحرر اليهود فى ايطاليا . الا أنه تأخر فى بروسيا الى سنة ١٨١٢ ، وبعد هزيمة فرنسا فى روسيا وانحلال الامبراطورية النابليونية ، عادت الدول الى اقصاء اليهود عن مكاسبهم السياسية والمدنية ، ما عدا فرنسا وهولندا . ولكن سرعان ما أبرمت قوانين جديدة أعادت لليهود حريتهم ، ففى سنة ١٨٧٠ ، لم يبق فى أوروبا كلها يهودى واحد غير محرر .

\*\*\*

### ٥ - مشكلة التحرير الكبرى :

وكان سهلا على اليهودى قبل التحرر أن يعيش كيهودى وأن يقيم التوراة والتلمود فى حياته وفكره ، كما رأينا من قبل . أما الآن وقد تحرر ، وأصبح لا يهوديا فحسب مقيما كأجنبى فى بلد غريب ، بل يهودى ألمانى ويهودى فرنسى ويهودى هولندى ، تعثر الطريق أمامه وشق . فما معنى أن يكون يهوديا يدين للقانون من جهة وألمانيا أو فرنسا يدين بالولاء لوطن وحكومة ودولة وثقافة وحضارة مغايرة لما عرفه فى توراته وتلموده ؟ ولم تخل حياة اليهودى فى أوروبا من مشاكل ألزمته طرح هذا السؤال على نفسه فى كل صباح . وهذه هى المشكلة الأولى .

أما المشكلة الثانية ، فهى تتعلق بعلمانية الدول الأوروبية المحررة لليهود . علينا أن نذكر أن تحرير اليهود لم يأت الا نتيجة لنمو العلمانية فى التنظيم السياسى والاجتماعى . إذ أن اقصاء الدين عن السياسة والاجتماع والاقتصاد أدى الى اعتبار المنفعة العامة والانتاج والخبرة والأهلية كأسس لجميع المعاملات والتظيمات . ومن هنا جاء قبول اليهود على أساس كفاءتهم الشخصية . وتماسك أفراد الأمة الواحدة ، بما فيهم اليهود ، لا على أساس الدين ، بل على أساس وجودهم فى الوطن ، وعمومية المنفعة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بينهم .

فالجغرافيا والاقتصاد حلتا محل الدين فى تكوين الدولة . الا أن هذه العلمانية نظرية نبعت من الخبرة المسيحية ، لا من الخبرة اليهودية . فالدين اليهودى لا يفهم أن يكون العمل الاقتصادى - ككسب العيش مثلا - عملا لا يمسه الدين بصلة ، وهو لا يفهم أيضا بالنظر لعنصريته وانفرديته وجماعيته أن يكون العمل السياسى - كحفظ الأمن والخدمات العامة مثلا - عملا لا يمسه الدين . كيف ذلك والدين اليهودى كله يقوم على انفرادية اليهود عن البشر أجمع ؟ أما المسيحى الأوروبى ، فقد قسم حياته الى دوائر وجعل بينها سدودا تمنع أى اتصال . وتجرى الحياة فى كل من هذه الدوائر بموجب قوانين خاصة بها لا علاقة البتة للدائـرة الواحدة بما يجرى فى الدوائر الأخرى . فالعائلة والاخلاق الشخصية والدين والاقتصاد والسياسة والاجتماع ، كل واحدة منها تؤلف ملكوتا مستقلا . فالويل كل الويل اذا سمح الغربى لمبادئ الدين أن تتعدوا حدودها للتأثير فى الاقتصاد . وبألها من مصيبة اذا تعدت مبادئ الدائرة الاقتصادية حدودها للتأثير فى الدين . والواقع ليست العلمانية سوى الاعتراف بأن ليس هنالك مبدأ عام يشمل حياة الانسان بكاملها كما هو الحال فى النظرة الدينية ، فأصبح لكل دائرة من دوائر الحياة مبداه الخاص .

ولا بد أن تؤدى العلمانية عاجلا أم آجلا الى اقضاء الدين بالمرء أو احواله الى عالم الخرافات البالية والتاريخ القديم . فالانسان الذى يرى نفسه متفقا مع جميع أبناء أمته فى جميع الدوائر ما عدا واحدة . لا بد له من أن يميل مع الوقت الى التغلب على هذا التمييز ليمحيه . فما هو مكان هذه الدوائر الدينية من الحياة ، اذا كانت فاعلية مبادئها مقصورة على التعبد الطقسى وبعيدة عن مجالات الحياة الأخرى ؟

صحيح أن حركة التحرير جلبت منافع كبيرة لأفراد اليهود ولجماعتهم بعد أن مكنتهم من الدخول فى حومات الحياة بل حتى من السيطرة عليها فى المجتمعات الغربية . أما الأمة اليهودية كامة ، فان التحامها وتلاصقها ببعضها أحدث التحرر فيه تصدع كبير . فبينما كان اليهودى لا كيان له سوى كعضو فى الأمة اليهودية وكمحقق للمزمات الدين اليهودى

فى جميع مجالات الحياة ، أصبح معظم كيانه بعد التحرر فى عضويته .  
فى الأمة القومية التى ينتمى إليها حيث ملزمات الدين اليهودى وقانونه  
لا فاعلية لها ولا أهمية . فقد أذاب التحرير الأمة اليهودية كأمة وأذابت  
العلمانية الجديدة علاقة الدين بالحياة . فالسؤال الذى يجابه اليهودى فى  
العصر الحديث هو : كيف لليهودى الاحتفاظ بمكاسب التحرير دون  
التطويح بالأمة اليهودية والدين اليهودى ؟ أو كيف لليهودى المتحرر أن  
يتفهم ولاءه لأمته ولتراثه القانونى والروحى ؟

هذا هو ما يحاول مفكرو اليهود الاجابة عنه فى العصر الحديث ،  
وهو السؤال الذى انقسم اليهود فى الاجابة عنه الى ملل ثلاث : الملة  
الاصلاحية ، والملة الأرثوذكسية ، والملة المحافظة . حتى حركة الصهيونية  
السياسية التى شملت أتباع الملة الثلاث يعتبرها بعض المفكرين اليهود .  
محاولة أخرى للجواب عن نفس السؤال . ولعلها كذلك .

قال مندلسون ، مواجهها القضية بعينها : أيها اليهودى . وافسق .  
دستور الدولة وأعمل بجميع عادات وقوانين البلد الذى تحل فيه . ولكن .  
فى ذات الوقت ، كن أميناً على دين آبائك وأجدادك ( ١٢ ) . هذا سهل .  
أما تحقيقه فصعب جداً . ويقول يوسف بلاو ، مؤرخ الدين اليهودى فى  
العصر الحديث : إن جميع ما كتبه اليهود فى جميع الممل والمدارس خلال  
هذا العصر يمكن اعتباره هوامش على هذه الملاحظة البسيطة لموسى  
مندلسون ( ١٣ ) وسنرى تفاصيل ذلك فيما يتبع .

\* \* \*

---

( ١٢ ) الكتاب السابق ذكره ، ( Moses Mendelssohn ) ، صفحة

٣٥٨ وما يليها من الجزء الثالث .

( ١٣ ) الكتاب السابق ذكره ، ( Joseph Blau ) ، صفحة ٢٧ .